أبحاث

مناهج المستشرقين في تأريخ الأحاديث

أ.د. أوزجان خضر(*)

المدخل :

قام المستشرقون منذ فترات طويلة بإنجاز دراسات مستقلة وغير منظمة إلى درجة كبيرة، تناولوا فيها قضايا اللغة والدين. ولأن المستشرقين اخترعوا في هذه المرحلة أسلوبًا مناهضًا للدين واستعملوه في أعمالهم ودراساتهم ولأنهم لم يواجهوا المجتمعات الشرقية مباشرة فإن احتمال تناول أعمالهم ودراساتهم من قبل المسلمين بالبحث والتدقيق وقبولها كان ضئيلاً جدًا. هذا وكان الغرب يتبنى فكرة أن الحضارة الغربية هي الحضارة الحقة والوحيدة وأنه يجب تربية باقي الناس على هذه الفكرة إلى حين يرتقون إلى مستوى يقتنعون فيه بها، لذا فقد استدعت هذه الفكرة أن يولي الغرب اهتماما خاصا بالعالم الإسلامي كي تتم توعيتهم بحقيقة دينهم[1]، فكان على الغرب قبل كل شيء أن يبذل مجهوده في إنجاز أعمال ودراسات وبحوث جادة في القرآن والسنة اللذين يشكلان وحدة الحضارة

(*) عميد كلية العلوم الإسلامية – والأستاذ المشارك في الحديث الشريف - الجامعة الإسلامية بروتردام، هولندا.

الإسلامية وأساسها.

منذ أن ظهر الاستشراق بدأ المستشرقون يتتبعون الأحاديث لغايات ومقاصد كثيرة مختلفة. ولكن تتبعهم ودراساتهم للحديث انصبت أساسًا على تحليل المسائل التاريخية، إلا أنهم لم يقتصروا على الأحاديث التي تتعلق بالمسائل التاريخية فحسب وإنما تجاوزوها إلى الأحاديث التي تتعلق بالعقائد والأحكام، وذلك لعدم اعتبارهم الأحاديث مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي، وبالتالي فإن البحوث الحديثية في الغرب مُهمتها ليست إثبات نسبة أي حديث إلى النبي ﷺ بل فرض عدم نسبته إليه. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار استحالة حتم الأحاديث إلى النبي ﷺ بمعناها المطلق(٢) فإن أي اتجاه من هذا النوع يؤدي بالضرورة من أول الأمر إلى قبول إغماض العين عن السنة والحديث وإهمالهما.

ومصدرية الأحاديث للتاريخ(٣) لها أهمية كبيرة عند علماء المسلمين أيضًا، إلا أن للأحاديث عندهم مهمة أخرى أهم من ذلك وهي أنها المصدر الثاني للدين الإسلامي بعد القرآن الكريم(٤).

من أهم إنجازات الدراسات التاريخية الحديثة في الغرب المستوى المنهجي العالي لنقد المصادر (sources) (critisizm). والنقطة الأساسية في هذا النقد هي تعيين قيمة مصدرية المتن الذي سيستفاد منه. وفي هذه الحالة فإن أهم غاية عملية للنقد هي تثبيت موثوقية ومصداقية المتن ورسالته الحقيقية وموافقته للمصدر الأصلي، ولتثبيت موثوقية المتن أو المصدر يسأل المؤرخ عادة الأسئلة الآتية:

أ- كم من الوقت مضى بين تشكيل هذا المتن وبين الحادثة التي قيل فيها هذا القول؟

ب- هل هناك تناسب وانسجام بين التاريخ الأول للمتن وبين مكانه؟

وعلى حسب الأجوبة يتحدد تاريخ المتن وهو أول خطوة في تقرير

كيفية استعماله تاريخيًا.

ومن جهة أخرى فإن المناهج التي تستعمل في تأريخ الأحاديث أو المتن عامة، لها علاقة قوية بكيفية المتن أو المصدر. لذلك نؤكد هنا، أنه على حسب كيفية المتن، تكثر مناهج تأريخ الأحاديث عند المستشرقين. وبالتالي فإن كل علم من العلوم الإسلامية له منهجه الخاص. وكذلك علم الحديث له مناهجه الخاصة به التي تتميز عن غيرها من المناهج في الديانات الأخرى[٥]. ومع ذلك، خصوصًا في السنوات الأخيرة، فقد ناقش بعض المستشرقين مناهج المحدثين وأصولهم لنقد الحديث.

وبناء على هذا واعتبارًا من بداية هذا القرن استعمل المستشرقون بعض المناهج لتأريخ الأحاديث لكي يتأكدوا من توثيقها تاريخيًا. ويراد "بمنهج تأريخ الحديث"[٦] تعيين ظهور الرواية لأول مرة في التاريخ. وقد استمر تطوير هذه المناهج إلى يومنا هذا بإضافة جوانب جديدة، ويمكننا حصرها وتصنيفها في أربعة أقسام:

١- التأريخ على أساس متون الأحاديث (جولدسيهر- Ignaz Goldziher، مارستون سبيت — Marston Speight).

٢- التأريخ على أساس استعمال الحديث في الخلافات الفقهية القديمة (يوسف شاخت — Joseph Schacht، يونبول — G. H. A. Juynboll).

٣- التأريخ على أساس إسناد الحديث (يوسف شاخت — Joseph Schacht، يونبول — G. H. A. Juynboll).

٤- التأريخ على أساس متن الحديث وإسناده معًا (هاريلد موتزكي — Harald Motzki).

وبطبيعة الحال تختلف كيفية الدراسة ونتائجها في كل منهج. ولذلك فإن المستشرقين الذين يستعملون هذه المناهج في دراساتهم يجمعون بين منهجين أو أكثر. ومن

أجل ذلك تصعب معرفة آراء هؤلاء المستشرقين وتقويمها دون معرفة مناهجهم المذكورة في تأريخ الأحاديث.

١- التأريخ على أساس متون الأحاديث:

أشهر مثال لهذا المنهج نجده عند جولدسيهر (Ignaz Goldziher) الذي يعتبر شيخ المستشرقين في الدراسات الحديثية في الغرب. إن جولدتسيهر الذي له معرفة عميقة في مواضيع كثيرة والذي ينحدر من أصل يهودي مجري قد قام بسياحة[٧] إلى الشرق الأدنى لمدة ستة أشهر لكي يشاهد دين المجتمع الشرقي وثقافته في موطنهما وكان في طليعة اهتمامه علم الحديث.

إن جولدتسيهر بصفة شخصية باحث نظم البحوث الإسلامية المعاصرة وكان له تأثيرات هامةً للغاية لا في الغرب فقط، بل في العالم الإسلامي أيضًا من خلال تطبيقه المنهجي ومؤلفاته. وهذه العناية التي حظي بها جولدتسيهر تنبَع من تطويره لمنهج مستوعِب يمكن التعبير عنه بمنهج البحث التركيـــي والذي جمع جولدتسيهر داخل إطاره مناهج مختلفة كانت تستعمل في الغرب متفرقة حتى عهده فيما يتعلق بتفسير الحصائل الدينية التاريخية. وقد بدأ جولدتسيهر يُكون أسُس منهجه هذا في جامعة بودابست، ثم شكل قاعدته الذهنية بمعنييه العلمي والثقافي من خلال سياحته التي قام بها إلى ألمانيا والشرق الأدنى. وحينما نقيّم ما كتبه حول الإسلام وخاصة حول فهم الحديث فإنه لابد أن نأخذ بعين الاعتبار تأثير سياحته التي قام بها في السنوات الأولى[٨].

وفي مقالته "على تطور الحديث"[٩] التي نشرها في كتابه الشهير "الدراسات الإسلامية — Muhammedanische Studien"[١٠]، لا يعطي جولدتسيهر أية أهمية للإسناد[١١] ويركز على دراسة متون الحديث فقط.

وإذا تتبعنا دراساته بصفة عامة وعلى رأسها كتابه المذكور نرى أن منهجه للتأريخ ينبني على الفكرة الآتية: "الروايات التي في كتب الحديث المعتبرة هي ليست أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وتقريراته، بل هي روايات تشكلت نتيجة الأحداث الدينية والسياسية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي خلال القرنين الأول والثاني الهجريين".

يتسم منهج "جولدتسيهر"، الذي يهدف إلى دراسة جميع الأحاديث المحتوية في نظره على كثير من الجوانب المبهمة وعلى تناقضات كثيرة، بما يلي:

أ- نتائجه التي وصل إليها عن تأريخ الأحاديث غالبًا لا تعتمد على أدلة معتبرة.

ب- تعميم الحكم على جميع الأحاديث من خلال الاستدلال بأحاديث معينة.

ومن الذين استعملوا هذا المنهج المستشرق مارستن سبيت (Marston Speight) الذي حاول في كثير من دراساته الحديثية أن يستعمل "منهج التحليل الخارجي أو الشكلي (form analysis) " لمتون التوراة والإنجيل. مقالة سبيت "إرادة سعد بن أبي وقاص: ازدياد رواية (The Will of Sa'd b. a. Waqqâs: The Growth of a Tradition)"[١٢] يعتبر أشهر مثال لمنهج تأريخ الأحاديث على أساس المتن عند المستشرقين. وفي هذه المقالة جمع "سبيت" روايات حديث سعد بن أبي وقاص الذي لم يأذن فيه النبي ﷺ بأكثر من ثلث ماله في الوصية وقاس بين الروايات التي تحتوي على بعض الجوانب المختلفة، ولكنه مثل "جولدتسيهر"، لم يأخذ الإسناد بعين الاعتبار في تطبيق منهجه؛ لأنه على حسب رأيه أن "التحليل الخارجي أو الشكلي" ينبني على المتون ولا يقتضي الاهتمام بالإسناد. ولكنه مع ذلك خالف "جولدتسيهر"، إذ يرى أن الإسناد مهم في دراسات الحديث[١٣].

في عملية مقايسة "مارستون سبيت" بين متون حديث أبي وقاص خمسة مراحل وهي:

أولاً: جمع "سبيت" تسعة عشر رواية تحتوي على ألفاظ مختلفة لهذا الحديث[١٤].

ثانيًا: رتب هذه الروايات على حسب محتواها.

ثالثًا: درس الألفاظ والمعلومات المتشابهة التي توجد في بعض روايات هذا الحديث بوجهات النظر الثلاثة التالية وقومها:

أ- كيفية تطور المتن بمعنى هل المتن تطور أفقيًا أم رأسيًا.

ب- تنظيم المعلومات التي في المتن وانسجامها.

ج- تثبيت المؤشرات التي تشير إلى تقدم الروايات وتأخرها.

رابعًا: على حسب نتائج دراسته وتقييمه لمتون روايات الحديث بوجهات النظر الثلاثة المذكورة، قسم سبيت الروايات إلى أقسام مختلفة.

خامسًا: وصل إلى نتيجة هي أن بعض روايات حديث سعد تؤرخ إلى تاريخ متقدم عن غيره.

وأخيرًا ادعى "سبيت" بأن إحدى روايات حديث سعد أقدم من الأخرى تاريخيًا. وثلاث روايات ظهرت فيما بعد الرواية الأقدم تاريخيًا، وهذا التاريخ هو بداية الدولة الأموية (٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٥٠م) كما ظهرت خمسة عشر رواية أخرى ظهرت في المراحل الأخيرة للدولة الأموية[١٥].

عملية "سبيت" هذه لتأريخ حديث سعد ليست في مكانها كما أنها بعيدة عن أن تكون مقنعة؛ لأنه في تحليله قد اتخذ ثلاث مقدمات أساسية، لكن هذه المقدمات ليس لها أي أساس. فمثلاً قول "سبيت" بأن جميع طرق حديث سعد رويت شفاهيًا قبل تدوين الأحاديث[١٦]، يحتوي على كثير من إشارات الاستفهام ولذلك يحتاج إلى تحقيق أكثر؛ لأنه من المعلوم تاريخيًا أن

قسمًا من الأحاديث قد كتب في صدر الإسلام بل توجد بعض الصحف التي كتبت في عهد النبي ﷺ أيضًا[١٧].

ورأي "سبيت" بأن متون الأحاديث القصيرة أقدم تاريخيًّا من الأحاديث طويلة المتون، يقتضي ضمنًا قبول فكرة تطور الأحاديث على مر العصور، وعدم روايتها كما سمعت من الرسول ﷺ. ولا يمكن قبول هذا الرأي بأي حال من الأحوال؛ لأن قبول هذا الرأي يؤدي إلى عدم إسناد الأحاديث إلى النبي ﷺ. كما أن قصر متون بعض الأحاديث له أسباب أخرى مثل "الاختصار" و"الاقتصار". وكذلك تُروى بعض الأحاديث مختصرة[١٨]. ولذلك قصر متن حديث معين ليس دليلاً دائمًا لإثبات تقدم بعض الأحاديث على البعض الأخرى تاريخيًّا.

ومن جهة أخرى ادعى "سبيت" أن الأحاديث التي تحتوي على الألفاظ والأقوال المباشرة (direct) مقدمة تاريخيًّا على الأحاديث المحتوية على الألفاظ والأقوال غير المباشرة (indirect)[١٩]. ادعاء "سبيت" هذا أيضًا مشكوك فيه ويحتاج إلى دليل؛ لأنه يمكننا تفكير عكس ذلك. ويمكن أيضًا إضافة حديثين أحدهما روي مباشرة والآخر روي بصورة غير مباشرة يعودان إلى نفس التاريخ؛ لأنه إذا سمع راويان معًا حديثًا من نفس الشيخ، يمكن لأحدهما أن ينقل الحديث بالألفاظ المباشرة والآخر ينقله بالمعنى. وهذا يبطل رأي سبيت المذكور. أما رأيه بأن جميع طرق حديث سعد المحتوية على الألفاظ المختلفة تتناول نفس الحادثة فليس بصحيح. إذ إنه توجد آراء[٢٠] مثبتة بأن هذه الحادثة وقعت مرتين، مرة أيام فتح مكة ومرة في أيام حجة الوداع.

ومن أجل هذه الأسباب، فإن منهج تأريخ الأحاديث على أساس متون الروايات لا يمكن أن يؤدي إلى

نتيجة مقبولة وصحيحة في تأريخ الأحاديث لعدم مراعاته جوانب كثيرة تتعلق بالحديث.

٢- التأريخ على أساس استعمال الأحاديث في الخلافات الفقهية القديمة:

المنهج الثاني في تأريخ الأحاديث هو المنهج المعتمد على أساس استعمال الأحاديث في الخلافات الفقهية في القرن الأول والثاني الهجري. ويمثل هذا المنهج "يوسف شاخت" (Joseph Schacht) الذي يعتبر من أهم أتباع "جولدتسيهر" في القرن العشرين. وقد وصف شاخت منهجه هذا في كتابه (أصول الشريعة المحمدية – The Origins of Muhammadan Jurisprudence) بالشكل الآتي:

"أحسن الطرق لإثبات عدم وجود أي حديث من الأحاديث في وقت معين هو ملاحظة عدم استعمال هذا الحديث الذي كان من الملزم الاستدلال به في الخلافات الفقهية في وقته".

كما قال الأستاذ "محمد مصطفى الأعظمي" الذي له دور كبير في الدراسات الحديثية المعاصرة، في كتابه "الرد على كتاب شاخت أصول الشريعة المحمدية"، رأي "شاخت" هذا يتناقض مع بعض آرائه الأخرى في كتابه[٢١].

ومن جهة أخرى رأي "شاخت" هذا يحتوي على نقطتين ضعيفتين: نظريًا وعمليًا.

أما نقطة ضعفه النظرية: أن عدم استعمال الحديث من قبل عالم أو فقيه في الخلافات الفقهية له أسباب كثيرة والحكم على الحديث لهذا السبب بأنه غير موجود، أحد هذه الأسباب فقط. والاحتمال الكبير هنا هو عدم معرفة الحديث من قبل العالم أو الفقيه، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال عدم وجوده فعلاً. ويمكن القول أيضًا أن هذا الفقيه لم يذكر الحديث لسبب ما لا نعرفه نحن.

وأما نقطة ضعف قول "شاخت"

عمليًا هي أننا لا نعرف في الحقيقة هل المصادر التي جمعت الأحاديث الفقهية صنفت لجمع كل الأحاديث المستدل بها في الخلافات الفقهية أم صنفت على حسب ترجيحات هؤلاء العلماء[٢٢].

وقد طبق نفس المنهج المستشرق الهولندي يونبول (G. H. A. Juynboll) في مقاله المسمى "حديث من كذب... — The man kadhaba tradition"[٢٣]. ولكن تطبيق "يونبول" المنهج المذكور يختلف عن تطبيق "شاخت" لأنه طبقه على حديث لا يتعلق بالفقه والأحكام. عمل "يونبول" أولاً على تخريج حديث "من كذب"[٢٤] وفي أثناء التخريج بحث عن هذا الحديث في مصنفات الحديث التي صنفت في الحجاز ومصر أولاً ثم في العراق ثانيًا. ثم أرخ الحديث كالتالي:

"هذا الحديث لا يوجد في الكتب التي صنفت قبل سنة ١٨٠ للهجرة في الحجاز ومصر كموطأ الإمام مالك وجامع عبد الله بن وهب ولكنه موجود في الرسالة للشافعي والمسند للحميدي اللذين صنفا بعد سنة ٢٠٠ للهجرة. ولا وجود له في الكتب التي صنفت في العراق بعد سنة ١٧٠ للهجرة ولكنه موجود في المؤلفات التي صنفت بعد سنة ٢٠٠ للهجرة كمسند الطيالسي".

ومن هنا يستنتج "يونبول" قائلاً:

"كل الأدلة هنا تدل على أن المركز الذي اخترع حديث "من كذب" هو العراق والوضاعون لهذا الحديث هم محدثو العراق من أهل السنة[٢٥]".

حكم "يونبول" هذا بعيد عن الحقيقة؛ لأن حديث "من كذب" يوجد في جامع "معمر بن راشد"[٢٦] الذي صنف سنة ١٥٢ للهجرة وهذا يدل على أنه كان معروفًا في النصف الأول من القرن الثاني. ومن المعلوم أن جامع "معمر بن راشد" من أوائل المصنفات في علم الحديث[٢٧]. ونفهم من هذا أن محاولة تأريخ

الأحاديث بهذه التحيزات بعيدة عن المنهج العلمي ولا يصل إلى أي نتيجة علمية؛ لأن وجود الحديث الذي يدور حوله النقاش في مصنف أو مصدر صنف فيما قبل التاريخ الذي يؤرخ فيه الحديث كاف في إبطال هذا المنهج، إذ أن أحد شروط قبول منهج تأريخ الأحاديث على أساس استعمالها في الخلافات الفقهية القديمة هو الوقوف على المصادر التي ألفت قبل... وصعوبة هذا العمل واضح.

ومع ذلك فإن منهج "يونبول" المذكور منهج يمكننا استعماله في معرفة متى كانت الرواية رائجة. ولكن القول أن الحديث قد وضع في تاريخ رواجه فقط وبالتالي لا يسند إلى النبي ﷺ ليس له قيمة علمية.

٣- التأريخ على أساس إسناد الحديث:

من أشهر من طبق هذا المنهج "يوسف شاخت"، و"يونبول" و"مايكل كوك" (Michael Cook). وقد ذكره "شاخت" في مقالته التي نشرها في كتابه "أصول الشريعة المحمدية" بعنوان "دليل الأسانيد"[٢٨].

وقد اعتمد في منهجه على بعض المقدمات والأصول أهمها:

أ- أكمل الأسانيد ما تأخرت تاريخيًا[٢٩].

ب- الأسانيد التي تعود إلى الرواة المنسوبين إلى عائلة واحدة (family isnâd) موضوعة[٣٠].

ج- وجود "راو مشترك (common link)" في كل روايات الحديث أو أكثرها يدل على وضع الحديث في عصر الراوي المشترك وواضع الحديث هو الراوي المشترك[٣١].

ويبدو أن أصول "شاخت" هذه لابد من مناقشتها. وعلينا أن نناقش أصله الأخير الذي نراه أكثر تأثيرًا على المستشرقين الآخرين وعلى رأسهم "يونبول" الذي خصص أكثر دراساته الحديثية للإسناد[٣٢]. ومن أجل ذلك يعتبر "يونبول" أهم أتباع "شاخت" في دراسات الإسناد في

الغرب.

ذكر "يونبول" هذا المنهج وطبقه في كثير من دراساته الحديثية ووصفه "اختراعًا كبيرًا"[٣٣]. يصف "يونبول" "الراوي المشترك" في كتابه "الحديث المسلم (Muslim Tradition)" بأنه نقطة تفريق بين الإسناد المقبول والإسناد الموضوع، وواضع الحديث هو أول راو يؤرخ الحديث إليه. نتيجة ذلك يرى ما هو بعد "الراوي المشترك" من الإسناد من وضع الراوي المشترك ولا يصل قطعًا إلى النبي ﷺ[٣٤].

الأمر الذي لابد من ذكره هنا أولاً هو أن الأحاديث التي أرخت باستعمال هذا المنهج دون الرجوع إلى الأسس الأخرى لا يستنتج منها نتيجة معتبرة؛ لأن كلاً من "شاخت" و"يونبول" لهما آراء متناقضة في تطبيق هذا المنهج. فمثلاً في مقالته "بعض الأسانيد — مناهج تحليلية[٣٥]... "Some isnâd-analitical methods illustrated on the basis of several women demeaning sayings from hadith literature.

لاشك أن "سفيان الثوري" ليس راويًا مشتركًا وحيدًا في جميع طرق هذه الرواية، ولا يقول ذلك "يونبول" أيضًا؛ لأن كثيرًا من الرواة نقلوا هذه الرواية مباشرة عن "عاصم ابن الأحول" (المتوفي سنة ١٤١هـ) وما نقلوه عن "سفيان الثوري". مع ذلك على حسب زعم "يونبول"، الراوي الأنسب الذي يحمل صفة الراوي المشترك هو "سفيان الثوري" لكون الرواة الذين أتوا من بعد "سفيان" كلهم نقلوا هذه الرواية عن "سفيان الثوري". هؤلاء الرواة هم:

صالح بن بيان، همام بن مسلم،
إسماعيل بن أبان،
عبد العزيز بن أبان،
إسماعيل بن يحيى — أو بن نجيه،
وعمار بن سيف

روى عمار بن سيف هذه الرواية عن سفيان الثوري مع روايته أيضًا

عن عاصم بن الأحول قائلاً: "سمعت بأن سفيان سأل عاصم بن الأحول عن هذه الرواية وحدثه عاصم الرواية عن أبي عثمان عن جرير[٣٦]".

وهناك قرينة أخرى تدل على أن عمار بن سيف نقل الرواية مباشرة عن عاصم شيخ سفيان[٣٧]. ولكن في رواية أخرى سأل عمار هل سمع هذه الرواية عن عاصم أم لا وأجاب، لا...

هذا يدل على وجود راو آخر أخفى اسمه بين عاصم وعمار وهو، على زعم "يونبول"، ليس إلا سفيان الثوري[٣٨] الذي هو الراوي المشترك في الإسناد. مع ذلك توجد لهذه الرواية طرق ليس فيها سفيان الثوري[٣٩].

ويستنتج من هذا، لإثبات كون سفيان الثوري راو مشترك في الرواية المذكورة، ادعى "يونبول" أن جميع طرق هذه الرواية في الحقيقة نقلت أيضًا عن سفيان الثوري.

٤- التأريخ على أساس متن الحديث وإسناده معًا:

هذا المنهج استعمله كثيرًا المستشرق الألماني "هاريلد موتزكي" (Harald Motzki) الذي يعمل حاليًا في جامعة رادبؤدْ (Radboud) بهولاندا. وينبني على أن هناك تناسبًا وانسجامًا بين متون الحديث المعين وأسانيده المختلفة. وعلى هذا فإن أسانيد الأحاديث ومتونها لم تصل إلى المصنفين صدفة بل في إطار مدروس وفي مرحلة حقيقية للرواية. في هذه الحالة – بالنسبة لهؤلاء المستشرقين – يمكن استعمال متون الأحاديث لتوثيق الأسانيد واستعمال الأسانيد لتوثيق متون الأحاديث[٤٠].

بالنسبة إلى "موتزكي" (Motzki) يمكن تطبيق هذا المنهج على الأحاديث كما يلي:

أولاً: تجمع روايات الحديث كلها ثم تصنف إلى أقسام بمنهج المقارنة الإجمالية (Sinoptical comparison) الذي استعمل لنقد متون الكتاب

المقدس.

ثانيًا: تثبت الرواة المشتركة في الأسانيد وينظر إلى أن الأحاديث المتقاربة سندًا هل تتطابق متنًا أم لا؟ إذا كانت متطابقة أمكن تثبيت المتون التي رويت من قبل الرواة المشتركة في الأسانيد. وبهذه الطريقة يمكن معرفة الرواة الذين تسببوا في التغيرات في متون الحديث.

على حسب رأي "موتزكي" هذا المنهج هو منهج وسطي بين مناهج التأريخ للأحاديث ويمكننا بهذه الطريقة تصحيح نتائج منهج التأريخ الذي يعتمد على أسانيد الحديث فقط؛ لأن منهج التأريخ الذي ينبني على الأسانيد ويهمل المتون غير معتمد.

الهوامش

(١) يرى أ. د. مصطفى الأعظمي أن الغربيين لا يحملون أي هم بخصوص حقيقة الدين الإسلامي وإنما هدفهم هو إظهار أنه كيف ينبغي للمسلمين أن يفهموا الإسلام.

(٢) إنما يمكن التثبت من صحة نسبة أي قول إلى قائله بشكل قطعي عن طريق الوحي كما هو الحال في نزول القرآن أو عن طريق شاهد يشهد صدور ذلك القول إلى متلقيه من مصدره وفي غير هاتين الحالتين يبقى هناك احتمال دائم لذا تناولت مؤلفات أصول الحديث جميع موضوعاتها في إطار هذا الاحتمال. (انظر أيضًا: إبراهيم خطيب أوغلو: حول أصول الحديث الكلاسيكية وقيمة المنهجية الحديثة، اجتماع اختصاصي حول مشكلات المنهجية في علم الحديث، İSAV، اسطنبول، ٢٤-٢٥ يناير ٢٠٠٤.

(٣) لمصدرية الأحاديث للتاريخ والمعرفة والمدنية انظر: يوسف القرضاوي، السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة، القاهرة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

(٤) لمزيد من المعلومات في حجية السنة ينظر إلى كتاب عبد الغني عبد الخالق حجية السنة (بيروت ١٩٨٦) الذي يعتبر أحسن كتاب في هذا الباب.

(٥) وللروايات والآراء في كون الإسناد منهج خاص للمسلمين فقط انظر: الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، (تحقيق: محمد سعيد خطيب أوغلو)، أنقرة ١٩٩١، ص٤٣؛ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، مجلد ٢، ص ٨١-٨٤؛ عبد الفتاح أبو غدة، الإسناد من الدين، دمشق - بيروت ١٤١٢هـ -

١٩٩٢م، ص٢٢؛ أوزجان خضر، العلاقة بين الإسرائيليات والحديث (مناقشات حول الثقافة اليهودية مع الأحاديث)، جامعة مرمرة، كلية الإلهيات، رسالة الدكتوراه، إسطنبول ٢٠٠٠ .

(٦) في اللغة الإنجليزية يبين هذا المنهج بتعبير "dating of the hadith".

(٧) إن سياحة جولدتسيهر هذه للشرق الأدنى والتي بدأت في ١٤ أكتوبر ١٨٧٣ وانتهت في أبريل ١٨٧٤ واتخذت طريقها من بُودابست، استنبول، دمشق، القدس، القاهرة والإسكندرية، كانت قد حظيت بأهمية بالغة فيما يتعلق بالتأكد من معارفه حول الدين الإسلامي وثقافته في محالّها وفيما يتعلق باستدراك ما قد فاته من مناهج البحوث الشرقية وتجربتها. وقد عبر جولدتسيهر عن عواطفه حول العالم الإسلامي والمسلمين بصراحة ضمن ملاحظاته الشخصية التي نشرت تحت عنوان تاجبوخ (Tagebuch, nşr. Alexander Scheiber, Leiden 1978) بعد موته بسبعة وخمسين عاما وتحت عنوان كَلَتِي نَابْلومْ (My Oriental Diary, nşr. Raphael Patai, Detroit 1987) بعد موته بستة وستين عاما. بالإضافة إلى الرسائل التي يبلغ عددها ١٣٧٠٠ فيما يتعلق بالمعارف حول حالاته النفسية وعلاقاتها وكراسة ملاحظات تحت عنوان عرابيش نوتيزبوخ (Arabisches Notizbuch) واللتين لهما أهميتهما. يمكن القول بأن ملاحظاته العربية تتضمن معارف صحيحة ومخلصة بالقياس إلى ما ورد في ملاحظاته اليومية والسياحية، فيما يتعلق بإقامته صلاة الجمعة في الأزهر وفيما يتعلق بسنواته التي مضت في الإسلام. ووفقًا لما أعطاه من المعلومات فإن جولدتسيهر لم يقم بهذه السياحة لمجرد القيام بالبحوث العلمية ولكنه استهدف منها أيضا معرفة العرب وتعلم لغتيهم المحلية والرسمية وجمع الكتب والحصول على الاستخبارات الرسمية والاستعداد لوظيفته التي يقوم بها في مركز بحوث الشرقية المفروض تأسيسُه مستقبلاً. وقد فاز جولدتسيهر بهدفه هذا بكامل معناه من خلال السياحة التي استمرت ستة أشهر تقريبًا .

(٨) Lawrence I. Conrad, "The Dervish's Disciple: On the Personality and Intellectual Milieu of the Journal of the Royal Asiatic Society. Young Goldziher" ، ١٩٩٠، عدد٢، الصفحة ٢٤٠-٢٤١.

(٩) اسم هذه المقالة باللغة الألمانية: "Über die Entwicklung des Hadît" ونشرت في كتابه الدراسات الإسلامية، (ترجمه إلى الإنجليزية: باربير — C.R. Barber وسترن — S.M. Stern)، لندن ١٩٧١، مجلد٢، ص١٧٠-١٨٩.

(١٠) هذا الكتاب لجولدتسيهر يعتبر من أوائل الدراسات الخاصة بالحديث في الغرب.

(١١) جولدتسيهر، الدراسات الإسلامية، مجلد ٢، ص٦، ويؤيد رأي جولدتسيهر هذا

المستشرق الألماني هاريلد موتزكي (Harald Motzki) في مقالته: The Collection of the Qur'ân: A Reconsideration of Western Views in Light of Recent Methodological Developments, Der Islam LXX/1, 2001، ص٢١.

(١٢) انظر: Der Islam، العدد: ٥٠ (١٩٧٣)، ص٢٤٩-٢٦٧.

(١٣) مارستون سبيت، إرادة سعد بن أبي وقاص: 'The will of Sa'd b. a. Waqqâs' ص ٢٤٩.

(١٤) الأمر الذي لابد من ذكره هنا أن سبيت لم يراع في جمع روايات هذا الحديث وجود الرواية في مصنفات الحديث المعتبرة.

(١٥) مارستون سبيت، إرادة سعد بن أبي وقاص، ص٢٦٧.

(١٦) المرجع السابق، ص٢٤٩.

(١٧) مسألة كتابة الأحاديث من المسائل المهمة التي نوقشت وماتزال تناقش في تاريخ الحديث. وفي الحقيقة هذا الموضوع يشتمل على جوانب لابد من مناقشتها جميعًا. لهذه المناقشات انظر: عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، بيروت ١٩٨١، ص٢٩٣-٣٥٥؛ نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، دمشق ١٩٨١، ص٣٩-٥٠؛ عبد الله آيدنلي، "استعمال الكتابة وثقتها في رواية الحديث"، بحث مقدم في مؤتمر مكانة السنة في الإسلام، إسطنبول ١٩٩٧، ص٣٠٧-٣١٧.

(١٨) موضوع اختصار الحديث يتعلق بمسألة رواية الأحاديث بالمعنى ويجوز عند أكثر العلماء ببعض الشروط. لتفاصيل الموضوع انظر: محمد الصباغ، الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه، بيروت ١٩٨٢، ص١٧٩-١٨٠ .

(١٩) إرادة سعد بن أبي وقاص، ص٢٥٠.

(٢٠) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تعليق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، بيروت، المجلد الخامس، ص٣٦٣؛ بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، مصر ١٣٩٢هـ - ١٩٨٢م، المجلد الحادي عشر، ص٢٦٤.

(٢١) لآراء شاخت المتناقضة مع قوله المذكور أعلاه ينظر إلى محمد مصطفى الأعظمي، الرد على كتاب شاخت أصول الشريعة المحمدية، الرياض ١٩٨٥، ص٣، ٥٧.

(٢٢) للرد الشامل على دعاية شاخت هذه ينظر إلى محمد مصطفى الأعظمي، الرد على كتاب شاخت أصول الشريعة المحمدية، ص١١٨-١٢٢.

(٢٣) يونبول، Muslim Tradition. The Studies in Chronology, Provencance and

Authorship of Early Hadith، كامبريج ١٩٨٣، ص٩٦-١٣٣. كما ذكره العلماء من حديث "من كذب" من الأحاديث المتواترة (انظر إلى جعفر الكتاني، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص٢٠). مع ذلك جولدتسيهر عده من الأحاديث الموضوعة (انظر Muhammedanische Studien، المجلد الثاني، ص١٣٢). انظر لروايات الحديث، البخاري، العلم، ٣٨؛ الجنائز، ٣٣؛ الأنبياء، ٥٠؛ مسلم، المقدمة، ٣؛ الترمذي، الفتن، ٧٠؛ العلم، ٨، ١٣؛ ابن ماجه، المقدمة، ٢٥، ٤٦ .

(٢٤)

(٢٥) يونبول، Muslim Tradition، ص١٣٢. لبعض آراء يونبول الأخرى من هذا النوع ينظر إلى المرجع السابق، ص١٢٨-١٢٩.

(٢٦) عبد الرازق، المصنف، المجلد الحادي عشر، ص٢٦١.

(٢٧) فؤاد سزكين، مبدأ المصنفات في الحديث وجامع معمر بن راشد، تركيات مجموعاسي، إسطنبول ١٩٥٥، المجلد الثاني عشر، ص١١٥-١٣٤.

(٢٨) يوسف شاخت، أصول الشريعة المحمدية، ص١٦٣-١٧٥.

(٢٩) المرجع السابق، ص١٦٥. ولرد هذا الرأي ينظر إلى محمد مصطفى الأعظمي، الرد على كتاب شاخت أصول الشريعة المحمدية، ص١٨٢-١٨٨.

(٣٠) أصول الشريعة المحمدية، ص١٧٠. لبعض الأمثلة التي أتى بها شاخت في تطبيق هذا المنهج ينظر إلى ص١١٤، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٣.

(٣١) أصول الشريعة المحمدية، ص١٧٢. يستعمل الأعظمي لـــ "الراوي المشترك – "Common Link اسم "common narrator" و"common transmitter". ولرده على رأي شاخت هذا بأدلة مقنعة ينظر إلى الرد على كتاب شاخت أصول الشريعة المحمدية، ص١٩٧-٢٠٥.

(٣٢) المستشرقون الذين خصصوا أكثر دراساتهم هم جايمس رابسون (James Robson)، يونبول (G.H.A. Juynboll)، منير يعقوب كستر (Meir Jacob Kister). من بين هؤلاء ليونبول أهمية أكثر من غيره؛ لأنه بغض النظر عن قبول منهجه، طور منهجًا خاصًا به لدراسة الأحاديث من جوانب مختلفة. والأحاديث التي درسها كستر لها علاقة مباشرة بالثقافة اليهودية. لمزيد من المعلومات في الدراسات الحديثية في إسرائيل ومنهج كستر في دراسة الأحاديث ينظر أوزجان خضر، "الدراسات الحديثية في إسرائيل ومنير يعقوب كستر"، بحث مقدم في مؤتمر دراسة الاستشراق من جديد، أنقرة ٢٠٠٣، ص٢٧٥-٢٨٥ .

(٣٣) يونبول، الحديث، ص٢٠٧. سمى يونبول هذا المنهج أيضًا باسم "key Figure".

(٣٤) لذكر يونبول هذا المنهج الذي لم يعتبره المستشرقون الآخرون غير يونبول، ينظر إلى كتابه الحديث، ص٦٠، ٦٩، ٨١، ٨٢، ١١٠، ١٢٧، ١٢٩، ١٦٣، ١٧٠، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٦-٢١٧.

(٣٥) القنطرة (al-Qantara)، المجلد العاشر، ١٩٨٩م، ص٣٤٣-٣٨٤.

(٣٦) خطيب البغدادي، تاريخ بغداد، بيروت — بدون تاريخ -، المجلد الأول، ص٢٨.

(٣٧) المرجع السابق، المجلد الأول، ص٢٨.

(٣٨) الرواية تومئ بأن هذا الراوي المخفي في الإسناد هو سفيان الثوري ينظر إلى خطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المجلد الأول، ص٢٩.

(٣٩) لهذه الروايات التي ليس في أسانيدها سفيان الثوري ينظر إلى خطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المجلد الأول، ص٣٠؛ ابن الجوزي، كتاب الموضوعات، التحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المجلد الثاني، ص٦٢-٦٨.

(٤٠) لتعريف وتطبيق موتزكي هذا المنهج ينظر إلى موتزكي، "المصاحف-... The Collection of the Qur'an، ص٢١-٣١؛ "النبي والهرة: على تاريخ موطأ مالك وأحاديث الأحكام- "The Prophet and the cat: on dating Mâlik's and Legal Tradition، Jarusalem Studies in Arabic and Islam، ١٩٩٨م، المجلد: ٢١، ص١٨-٨٣.